بسم الآب والابن والروح القدس، إله واحد. آمين.

"مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة" (أفس ٥: ١٦)

ونحن نقترب من نهاية السنة القبطية وعلى مشارف عام جديد، يجدر بنا أن نراجع أنفسنا وندقق النظر كيف نستخدم واحدة من أعظم العطايا التي أعطاها، ومازال يعطيها، لنا الله وهي نعمة "الوقت".

في بعض الأمور يعتبر الوقت عاملاً أساسياً في النجاح أو الفشل. على سبيل المثال، إذا قدم طالباً ما الفرض المنزلي بعد موعد تقديمه فلن تحتسب له العلامات حتى ولو أدّاه على أحسن وجه، ببساطة لأنه لم يقدمه في الموعد المحدد. بالمثل فإن خدمة مرثا لم يمتدحها الرب لأنها قدمتها في الوقت الخطأ. كيفية استخدامنا للوقت المُعطى لنا يُشَكِل حياتنا كبشر. إضاعة الوقت هي خسارة الحياة، وقتل الوقت هو انتحار. ولكي نربح وزنة الوقت علينا أن نفهم الشيء المُميّز للوقت، علينا أن نرى ونميّز الأوقات المختلفة، ونتصرف بطريقة مسئولة حيال وقت هؤلاء الذين نتعامل معهم.

❖ ما يُميِّز الوقت:

الوقت هو العنصر الوحيد في حياتنا الذي لا يمكن أن نسهم في زيادته. فنحن نستطيع إحلال، أو وزيادة، أو المحافظة على الوزنات المختلفة الموهوبة لنا ما عدا الوقت، هذه الصفة الخاصة بالوقت التي هي محدوديته تفسر لنا لماذا يعلمنا بولس الرسول أن **"نفتدي"** الوقت حيث أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للاستفادة منه إلى أقصى حد.

معرفتنا لمحدودية هذه الهبة الثمينة تجعل الحكيم بيننا يعمل جاهداً على إعادة تقييم أولويات جدوله اليومي. يجب أن نضع نصب أعيننا أن بنياننا ونمونا الروحي، وما نستطيع أن نفعله لخدمة من حولنا يجب أن يكون على رأس قائمة مهامنا اليومية في ضوء الوقت المتاح لنا.

الكثير ممن يقضون ساعات في وسائل الإعلام الاجتماعية، حتى وإن لم يقوموا بفعل خاطئ، لكنهم سيقدمون حساباً أمام الله على هذا الوقت المهدر على حساب ما هو نافع للبنيان.

المهام اليومية يمكن تصنيفها على أساس ما هو هام وما هو مُلِح. أولئك الذين يدركون كيفية افتداء الوقت، يعطون أهمية خاصة لما هو هام، مثل الممارسات الروحية، وليس لما هو مُلِح. في حقيقة الأمر،إن ترتيب أولوياتي هو بمثابة المرآة التي أستطيع أن أرى فيها "أين هو قلبي؟" فإذا افترضنا أن الله وأسرتي على رأس قائمة أولوياتي، إذن فلماذا لا أقضي وقتٍ كافٍ مع أيهما؟!

ومن الصفات المُميّزة أيضاً للوقت أنه لا يمكننا استرجاعه، أو التعجيل به، أو الوثوق فيه. في كثير من الأحيان نتمنى لو أنه بإمكاننا إعادته إلى الوراء، لُنحسِن الاختيار، أو لنمحو ما تفوهنا به في عجلة ونندم عليه الآن، أو للاستفادة من فرصة أضعناها. معرفتنا هذه الحقائق عن الوقت تجعلنا أكثر حرصاً في اختيار ما نفعل أو نقول. إنها ليست دعوة للاستغراق في الأسف والندم، بل هي بالحري نداءاً لكي نكون أكثر حرصاً في المستقبل.

لا يمكن التعجيل بالوقت وهذه الحقيقة تقود الكثيرين للشك الخاطيء في الوقت الأمثل لتحقيق وعود الله وحبه لشعبه. لقد استغرق تحقيق وعد خلاص البشرية بتجسد ابن الله آلاف السنوات. صرخة البشرية والتي تَجلَّت في قول إشعياء النبي: **"لَيْتَكَ تَشُقُّ السَّمَاوَاتِ وَتَنْزِلُ"** (أش٦٤: ١) لم يكن المقصود منها اطلاقاً التعجيل بخطة الله للخلاص قبل ملء الزمان.

عندما نسمع صراخ المظلومين ونتساءل لماذا لا يتدخل الله لإنصافهم، يجب أن نُذكِّر أنفسنا أنه يعمل، وأن عمله سوف يُظهر في حينه. يسمح الله لنا بالضيقات والشدائد لبعض الوقت لكيما ننتفع ونُكلل. ومحاولة تعجيلنا للوقت لكيما نهرب من الضيقة قد يؤدي بنا إلى أن نخسر تلك المنفعة والأكاليل. وأيضاً يجب علينا أن نتذكر حقيقة عدم استطاعتنا بتعجيل الوقت في بداية جهادنا الروحي عندما نتساءل لماذا لا تأتي الثمار سريعاً؟ عملية جني الثمار في الحياة الروحية هي رحلة تستغرق وقتاً، وأولئك الذين يتعجلونها يخاطرون بعدم جني هذه الثمار على الاطلاق.

كذلك بالرغم من أن الوقت يبدو وكأنه يعمل معنا باستمرار ويخدمنا، إلا أننا لا يمكن أن نثق به. وهذا هو التحذير الذي يعلنه لنا القديس يعقوب: "**هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: «نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا إِلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ، وَهُنَاكَ نَصْرِفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ» أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ! لأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا: «إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هذَا أَوْ ذَاكَ»** (يع ٤: ١٣-١٥).

الغني الغبي الذي ذكره رب المجد في الإصحاح الثاني عشر من إنجيل لوقا ، يُعد غبياً، ليس لأنه لم يكنز لنفسه كنوزاً في السماء واهتم بأباطيل هذا العالم فقط، وإنما أيضاً لأنه وثق في الوقت واعتقد أنه سيظل على الدوام يخدم خططه.

❖ أوقات اليقظة والتمييز:

يتضح جلياً أن هناك بعض الأوقات ليس لنا أن نعرفها «**لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ**» **(أع ١: ٧)** ومع ذلك فهناك بعض الأوقات التي يجب أن نكون متيقظين فيها ولنلاحظ مثل هذه الأوقات:

١ – وقت الإفتقاد:

يدعو الله هذه الفرصة وقت المحبة "**فَمَرَرْتُ بِكِ وَرَأَيْتُكِ، وَإِذَا زَمَنُكِ زَمَنُ الْحُبِّ. فَبَسَطْتُ ذَيْلِي (جناحي) عَلَيْكِ**" (حز ١٦: ٨). إنه وقت تقرع نعمة الله باب قلبي. إلاّ أن الرب لن يقف على الباب إلى الأبد كما نتعلم من العروس في سفر نشيد الأنشاد: "**فَتَحْتُ لِحَبِيبِي، لكِنَّ حَبِيبِي تَحَوَّلَ وَعَبَرَ**" (نش ٥: ٦). إن عدم إدراك وقت الافتقاد هذا كان السبب وراء رفض إسرائيل وأخيراً خراب الهيكل مع العبادات التي كانت تقام فيه «**وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ، وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ، لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ**» (لو ١٩: ٤٤).

٢ – وقت الهرب:

"**اَلذَّكِيُّ يُبْصِرُ الشَّرَّ فَيَتَوَارَى، وَالْحَمْقَى يَعْبُرُونَ فَيُعَاقَبُونَ**" (أم ٢٢: ٣).

شيءٌ جوهريٌ لنا أن ندرك الوقت المناسب للهروب من الفواحش مثلما فعل يوسف الصدِّيق: "**أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا**" (٢تي ٢: ٢٢). هناك وقت عندما تكون الخطية رابضة عند الباب ولكننا نكون ما زلنا ممسكين بزمام الأمر، لكن بمرور الوقت تنسَّل الخطية إلى قلوبنا وعندها يكون السقوط هو الأرجح. علينا أيضاً الهرب من المناقشات الغبية وتمييز الوقت لنتفاداها قبل فوات الأوان: "**وَالْمُبَاحَثَاتُ الْغَبِيَّةُ وَالسَّخِيفَةُ اجْتَنِبْهَا، عَالِمًا أَنَّهَا تُوَلِّدُ خُصُومَاتٍ**" (٢تي ٢: ٢٣).

٣ – وقت التوبة:

من ضمن العطايا التي يمنحها لنا الله لتساعدنا على التوبة هي عطية الوقت كما ذُكر في سفر الرؤيا: "**وَأَعْطَيْتُهَا زَمَانًا لِكَيْ تَتُوبَ عَنْ زِنَاهَا وَلَمْ تَتُبْ**" (رؤ ٢: ٢١) وقت التوبة هو الآن: "**هذَا وَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ، أَنَّهَا الآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ، فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا**" (رو ١٣: ١١). يجب علينا أن نعي الدرس المستفاد من أهل نينوى الذين تحركوا على الفور وخلَّصوا أنفسهم من خطر وشيك. وبالمثل فإن كلمات اعتراف عاخان بن كرمي: «**حَقًّا إِنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ وَصَنَعْتُ كَذَا وَكَذَا**» (يش ٧: ٢٠) لم تعفه من العقاب لأنه ببساطة قالها بعد حينها.

٤ – وقت الأبواب المفتوحة:

إن الوقت المتاح لتعليم الأطفال عن الله وتلقينهم طرقه هو حيويٌ ومحدودٌ. فإن هناك نافذة لهذه الفرصة في بداية حياتهم عندما يكون بإمكاننا أن نهيئ عقولهم لكي تدرك وتحب طريق الله، وتعرف الكنيسة وطقوسها وأسرارها، ونغرس فيهم الفضائل المسيحية. إضاعة هذه الفرصة يجعل هذه العملية صعبة ومؤلمة للأطفال والآباء على حد السواء. هناك أيضاً وقت لتأسيس أسلوب سليم للتواصل مع من يعنينا. فممارسة و تنمية التواصل السليم في الزواج، على سبيل المثال، هو شيء لا غنى عنه، وبالأخص في الفترة الأولى من العلاقة، لكيما يتكون أساس قوي يستطيع أن ينمو وينجح عليه الزواج. وبالمثل في تعاملنا مع أطفالنا، نحن في أغلب الأحيان نريدهم أن يطيعوننا ويعملون بنصائحنا، ولكن كم مرة نعطيهم الوقت الكافي لنسمعهم ونجعلهم يُفصحون عما بداخلهم؟ إن إهمال هذا ينتُج عنه الشعور بالإحباط والبرودة ويخلق فجوة في علاقة الآباء بالأبناء.

وعلى ذلك، هناك نافذة أيضاً لنوال البركة. فإن الله يدعونا للحضور والمشاركة في القداس الإلهي، ولكن الكثيرين لا يُقدِّرون هذه الدعوة. نحن كثيراً ما نغفل حقيقة أن البركة المختارة تُعطى لأولئك الذين يحضرون مبكرين بل ويجعلون للحضور المبكر أولوية، كما هو مكتوب: **"أَنَا أُحِبُّ الَّذِينَ يُحِبُّونَنِي، وَالَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي"** (أم٨: ١٧).

٥ – وقت التخزين الروحي:

هناك وقت عندما يمكننا العمل جاهدين في بناء خبراتنا مع الله، ونحفظ في قلوبنا ذكريات وخبرات روحية يمكن أن تعيننا في وقت لاحق في حياتنا. **"فَاذْكُرْ خَالِقَكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ، قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ أَيَّامُ الشَّرِّ"** (جا١٢: ١). نحن مطالبين حتى أن نلاحظ ونتعلم من حشرة صغيرة **"اِذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ. تَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَكُنْ حَكِيمًا"** (أم٦: ٦).

٦ – وقت للشهادة:

يعلِّمنا الكتاب أن **"الْكَلِمَةُ فِي وَقْتِهَا مَا أَحْسَنَهَا!"** (أم١٥: ٢٣) وأيضاً **"مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ، بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ"** (١بط٣: ١٥). لذلك فهناك أوقات نُدعى فيها للشهادة للرب ولنتمم فيها مسئوليتنا كسفراء للمسيح. قد تكون هذه المناسبات هي من أهم الأوقات بالنسبة لنا ولمَن مِن المفترض أن يسمعوا لنا. كل ما نذكره من حياة يونان الطويلة هو أنه كان الشخص الذي وعظ أهل نينوى. كانت هذه هي مهمته ذات السمة المُمَيَّزة التي كان عليه أن يتممها، وكانت فرصة أهل نينوى الوحيدة للخلاص.

❖ المسئولية تجاه وقت الآخرين:

كما أننا سنُحاسب أمام الله عن كيفية إدارتنا لوقتنا، كذلك يجب علينا أن نتوقع أننا سنحاسب عن كيفية استغلالنا لوقت الآخرين. من ضمن هؤلاء "الآخرين" رجال الاكليروس والذي أُسنِدَت لهم خدمة نشر مملكة الله وخلاص النفوس الضائعة.

هؤلاء الإكليروس مطلوب منهم القيام بعدة مسئوليات تستلزم منهم الاهتمام المستمر. مثل الخدمات الليتورجية، الافتقاد، جلسات الاعتراف، تقديم المشورة، التعامل مع اداريات الكنيسة، السفر للخدمة في أماكن بعيدة، تحضير الدروس والعظات، التخطيط للأنشطة، مساعدة القادمين الجدد في الاستقرار، كل هذا مع اهتمامهم بخدمة أسرهم. إن وقت رجال الإكليروس ضيق جداً والمهام الموضوعة عليهم ضرورية وعاجلة.

نحن كشعب ورعية لدينا دور هام وأكيد في مساعدة رجال الإكليروس لتقسيم وقتهم فيما هو هام فعلاً ويتعلق بخلاص النفوس التي يخدمونها.

على كل واحد منا أن يسأل نفسه هذه الأسئلة قبل أن يطلب أخذ وقتاً من الأب الأسقف أو الكاهن:

(١) هل سؤالي له صلة بخدمة الإكليروس؟

عندما اقترب رجل من الرب ليسأله أن يطلب من أخيه أن يقسِّم الميراث بينهم، أجابه الرب: «يَا إِنْسَانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟» (لو١٢: ١٤)، هنا جواب الرب يلفت انتباهنا إلى حقيقة أن خدمته وخدمة المُرسَلين من قِبَله مُركزة على تغيير قلوب الذين يخدمونهم، وهذا فوق كل شيء آخر. لو تعلمنا أن نحب كما علمنا هو وأن نقضي بالعدل مقتدين به، فلن نحتاج إلى من يفصل بيننا. إن غمر رجال الإكليروس بأسئلة لا تخص خدمة الروح هو شيء يجب علينا الامتناع عن فعله. لقد سيم الكاهن من قِبَل الله لكي يساعدنا على معرفة الله والسير نحوه، وليس لإرباكه بأسئلة عامة وأمور ليس له خبرة، أو دراية، أو قدرة على إجابتها.

(٢) هل استعمل الطريقة الصحيحة للتواصل مع الكاهن؟

هذا درس نتعلمه من قائد المئة الذي سأل الرب أن يقول كلمة من بعيد لكيما يُشفى عبده (لو٧)، لم يشأ الرجل أن يزعج الرب يسوع بإحضاره إلى بيته بينما يستطيع ببساطة أن يتمم الشفاء بكلمة من فمه.

في عالم اليوم، لدينا العديد من الوسائل للتواصل كإرسال رسائل نصية، اتصال هاتفي، رسائل مسجلة، بريد إلكتروني، ....إلخ. فيجب علينا إذن مراعاة اختيار أفضل وسيلة نستعملها عندما نريد سؤال الكاهن في شيئاً ما. على سبيل المثال، إذا كان سؤالاً مختصراً ويمكن الإجابة عليه بكلمات قلائل فيمكن استخدام الرسائل النصية. بينما لو كان استفساراً يحتاج إلى إجابة مطوَّلة فيفَّضل كتابتها في رسالة بريد إلكتروني، أما إذا كان موضوعاً يستلزم المناقشة فيفَّضل التواصل هنا عن طريق مكالمة هاتفية أو مقابلة خاصة.

(٣) ما الذي أريده من مناقشتي مع الكاهن أو الأسقف؟

أي جلسة اعتراف أمينة لا يجب أن تستغرق أكثر من ١٥ دقيقة، وذلك لو قمنا بالتخطيط الجيد والتزمنا بموضوع الاعتراف. للأسف، فإن هذه الجلسات قد تستغرق دقائق عديدة (وأحياناً ساعات) بدون فائدة واضحة من حيث كون الجلسة تمثل اعترافاً أو فحصاً للذات. والشخص هنا لا يخدع ذاته بتصوره أنه قد اعترف بالحديث في أمور لا علاقة لها بالاعتراف فحسب، بل هو أيضاً مُذنب في إهدار وقت الكاهن الثمين والذي كان يمكن استخدامه في أمور هامة ومصيرية. بالمثل أيضاً لابد أن نسأل أنفسنا هذا السؤال قبل الاتصال بالكاهن: ما هو السؤال المحدد الذي أريد إجابة من أبونا بخصوصه؟ وإلاّ فسوف تستمر هذه الاتصالات إلى أجل غير مسمى بدون تحقيق فائدة حقيقية للمتحدث أو المستقبل للمكالمة.

(٤) هل أطلب رأى الكاهن أم أنني أسعى إلى الحصول على موافقة ما بالضغط عليه؟

عندما أتى الشاب الغني ليسأل الرب عما يجب أن يفعله ليرث ملكوت الله كما ذُكر في متى ١٩، أجابه الرب بعد أن رأى أنه يحفظ كل الوصايا بأن يذهب ويبيع كل ماله ويتبعه. نقرأ بعد ذلك أن الرجل "**مَضَى حَزِينًا**" (مت١٩: ٢٢). بالطبع لم يرُق للرجل الجواب، ولكنه لم يضيع وقت الرب في الجدال محاولاً إقناع الرب بتغيير إجابته له، أو ليقول له على شيء آخر يستطيع عمله.

في كثير من المناسبات يعطي الاكليروس رأيهم لشخص ما فلا يتقبل الرأي، ومن حق الشخص أن يتبع نصح وإرشاد الكاهن أو أن يتجاهله كما فعل الشاب الغني. ومع ذلك فمن الخطأ الضغط على الكاهن حتى يفعل أو يقول ما يريده السائل. فهذا ينطوي ليس فقط على الإرهاق الذهني والنفسي من جانب الكاهن وإنما أيضاً إهداراً لوقته وطاقته.

أخيراً، يجب علينا دائماً استخدام الوقت بحكمة عالمين أنه عطية ووكالة. ولكي يتم هذا على نحو فعَّال، يجب بذل قدراً من الجهد لنفهم تَفرُّد هذه العطية، ويجب علينا اليقظة والاحتراس لتمييز الأوقات المتعلقة بخلاصنا، ونتوخى الحذر في كيفية استغلالنا لوقت أولئك المدعوون لأجل خدمة خلاصنا.